الفصل الثالث:

المؤثرات الفكرية في التربية الأسرية وسبل مواجهتها تيارات الداروينية الاجتماعية وقيم ما بعد الحداثة نموذجاً

سميرة عبد الله الرفاعي[1]

مقدمة:

يتشكل السلوك الإنساني بتفاعل مكوناته عبر سلسلة متلاحقة ومتكاملة يتصدر الفكر فيها أولى الحلقات؛ وبذلك تعظم مسؤولية التربية في توجيه الفكر وضبطه وتنقيته عما قد يشوّه الصورة الصحيحة لمكانة الأفراد ووظائفهم الفطرية التي خلقوا من أجلها، فتعمر المجتمعات مؤسساتها كافة، وأبرزها ما يتعلق بالوحدة الأولى للبناء الاجتماعي وهي الأسرة. وتشكل الأسرة -بقيمها المنضبطة- المعين الأول الذي ينهل منه الأفراد ما ينبغي أن يكونوا عليه في المستقبل ونموذجاً متكاملاً للزوجية والوالدية المنشودة، بما يحقق للمجتمع أمنه وترابطه، وينأى به عن التفكك المعنوي أو الحقيقي الذي ألقت آثاره بظلالها على أُسَرِنا اليوم، وخاصة في ظل غياب النموذج الإسلامي في مستواه التطبيقي.

إن غياب النموذج الإسلامي المشار إليه أضعف القدرة على المقاومة والمغالبة لكثير مما تسرب إلينا من مذاهب وتيارات فكرية، في خضم التحديات المعاصرة، وإن كان الشك في القدرة على المغالبة كبيراً -إلى حد ما- ما لم تتحرك جميع القوى وتستنفر مؤسسات المجتمع بشقيها (الرسمية والمدنية) طاقاتها للعودة إلى الأصول الثابتة من الكتاب والسنة، التي رسمت منهجاً قويماً

(١) دكتوراه تربية إسلامية، جامعة اليرموك عام ٢٠١٠م، أستاذ مساعد في قسم الدراسات الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة اليرموك/ الأردن. البريد الإلكتروني: dr.sasa79@yahoo.com.

obeikan.com

للأسرة إنشاء وضبطاً. ويعظم التحدي في ظل التحول نحو عولمة المذاهب والتيارات الفكرية وتصديرها في أحادية إلى العالم مع تنوع إيديولوجية شعوبه وثقافتهم وعاداتهم. وعليه، جاء اختيار موضوع البحث لبيان مفرزات المؤثرات الفكرية في التربية الأسرية وعلاقتها بتراجع الكفاءة الوظيفية للأسرة، واقتراح ما يمكن أن يكون خطوات في طريق حل الأزمة.

ويقتصر البحث الحالي -فيما يتعلق بالمؤثرات الفكرية- على تيارات الداروينية الاجتماعية وقيم ما بعد الحداثة، وتيار الحركة النسوية العالمية المطالبة بالمساوة المطلقة، ومن ثم، يصعب تعميم استنتاجات الدراسة خارج هذه الحدود.

أولاً: الإطار المفاهيمي للبحث

١- العلاقات الأسرية ومستوياتها:

أ- تعريف العلاقات الأسرية:

بات الحديث عن مركزية الأسرة من بين مؤسسات المجتمع من المسلّمات التي لا يقف الباحثون عند حد التعبير السطحي عنها، بل تجاوزتها الأنظار إلى ديناميكية العمل التي تنظّم علاقة أفرادها بعضهم بعضا، بوصفهم جماعة إنسانية منظمة تخضع لقوانين الاجتماع الإنساني في العلاقات والارتباطات. وتعد العلاقات الأسرية جزءاً من العلاقات الاجتماعية، وتتنوع إلى علاقات أسرية داخلية قائمة بين أفراد الأسرة الواحدة، وخارجية قائمة على تفاعل أفراد الأسرة مع ذوي الأرحام والجيران والأصدقاء، وغيرها من الجماعات الاجتماعية. وتعرف الباحثة العلاقة الأسرية -الداخلية منها تحديداً- على أنها: تفاعل منظم بين أفراد الأسرة الواحدة بتدرج في مستويات متعددة، كل في موقعه ومسؤوليته، تحكمه المنظومة القيمية النابعة من الوحي، وما يتراضى عليه الأفراد؛ تبعاً لاختلاف حاجات الزمان والمكان وتحدياتهما، بما لا يخالف توجيهات الوحي.

ب- مستويات العلاقات الأسرية:

يمكن القول إن العلاقات الأسرية تقسم إلى ثلاثة مستويات هي: العلاقة الزوجية، والعلاقة الوالدية بشقيها الأبوية والبنوية، والعلاقة الأخوية، تربطها علاقة التكامل والتفاعل الإيجابي في الأدوار والوظائف. وبالإمكان وصف العلاقات الأسرية بالشبكة التي يتأثر فيها كل فرد ويؤثر في الآخر. فبقدر التعاون والتفاهم والانسجام بين أعضاء هذه الشبكة يتحقق التفاعل الإيجابي الذي يؤثر بإيجابية في المجتمع؛ كون الأسرة هي النواة الأولى في بناء المجتمع أياً كانت إيديولوجيته، أما إذا اختل عنصر التفاعل الإيجابي بين أعضاء هذه الشبكة، فستظهر ملامح الخلل والتصدع بصوره المتعددة والمتنوعة من العصيان والإهمال والانحراف والأنانية، وهو الأمر الذي سيؤثر بتفاعل سلبي في المجتمع. وقد أشارت نتائج بعض الدراسات إلى أن من أبرز الأسباب المؤدية إلى بناء أسري متصدع، اضطراب شبكة العلاقات الأسرية.(١)

وبالإمكان الاجتهاد في بيان العلاقات الأسرية ومستوياتها بالرسم التوضيحي الآتي:

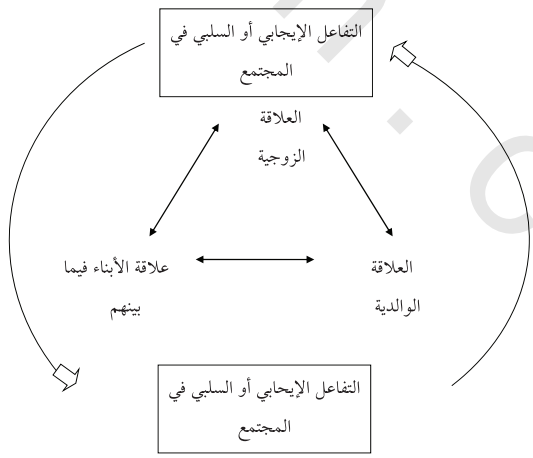

(١) للاستزادة في تفاصيل النتائج، انظر:
- بيومي، محمد. **سيكولوجية العلاقات الأسرية**، القاهرة: دار قباء، ٢٠٠٠م، ص٢٤٥-٢٥١.

٢- التربية الأسرية: مفهومها وأهميتها:

أ- مفهوم التربية الأسرية:

اصطلح العلماء أن التربية تشير إلى الجهود المخططة لإحداث تغيرات مرغوب فيها للفرد والمجتمع، وتهدف إلى تعليم الفرد وإكسابه المهارات والعادات الحسنة من جميع النواحي (الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية) اللازمة للمواطن الصالح،[١] فيتمكن الفرد من التفاعل الإيجابي مع بيئة وأسرته. وهناك مؤسسات متعددة تقوم بهذا الدور من التربية، ومن أهمها الأسرة، بوصفها المكان الرئيس والحضن الأول للطفل.

وتعددت تعريفات التربية الأسرية، ومن أبرزها على سبيل المثال لا الحصر، أنها: "مجموعة علمية مترابطة ومتداخلة تعكس في جملتها الحياة الأسرية، وتقدم المعارف والمعلومات والمهارات اللازمة لتهيئة الأفراد لحياة أُسَرية سعيدة، سواء في أسرهم الحالية أو المستقبلية."[٢] وعرَّفها فرغلي على أنها: "كل ما تقدمه المؤسسات التربوية بصورة واعية ومقصودة بهدف إعداد الأفراد للاضطلاع بكفاءة بأدوارهم الحالية والمستقبلية كأعضاء في الأسرة."[٣] وفي ضوء ما سبق، تعرّف الباحثة التربية الأسرية بأنها: جهود مخططة بصورة واعية مقصودة سواء على المستوى الفردي أو المؤسسي، تهدف إلى تنمية سلوك الفرد وترقيته في شتى جوانب الشخصية؛ بما يمكّنه من القيام بمسؤولياته وأدواره المنوطة به في أسرته الحالية والمستقبلية، وبما يبوؤه مكانته الفطرية في الأسرة.

---

(١) أحمد، لطفي. **المعجم التربوي في الأصول الفكرية والثقافية للتربية**، الرياض: دار الوطن، ١٩٨٤م، ص٤٧. انظر أيضاً:
- طه، فرح وآخرون. **موسوعة علم النفس والتحليل النفسي**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٩م، ص٣٢٣.

(٢) كوجك، كوثر. وداود، لولو جيد. **المرجع في التربية الأسرية**، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٤م، ص١٣.

(٣) أحمد، فرغلي. "التربية الأسرية في الولايات المتحدة الأمريكية والدروس المستفادة"، **مجلة كلية التربية**، جامعة أسيوط، عدد١٣، ١٩٩٧م، ج١، ص١٨٧.

وتبدأ التربية الأسرية للفرد منذ نعومة أظفاره كأي تربية، وتختلف باختلاف الأفراد والأوساط والظروف؛ ذلك أنها منوطة بمقومات شخصية الفرد ومكانته في الأسرة، مما يعني أن التربية تستلزم معرفة سيكولوجية الأفراد والفروق الفردية بينهم.[1]

ب- أهمية التربية الأسرية:

تبرز أهمية التربية الأسرية من أهمية الأسرة، التي هي النموذج العملي المتحرك الذي ينقل الرعيل من مرحلة الفلسفة النظرية لكل المعاني والقيم التي يراد طبعها في السلوك إلى مرحلة التطبيق العملي؛ إذ مزاوجة القول بالعمل أثبت في النفس من الاكتفاء بأحادية القول. وبالإمكان القول إن ما تملكه الأسرة من خصائص النفوذ والهيبة الإيجابية تمكّن من تنقية ما يتعلق بأفرادها من ممارسات خاطئة، وما اكتسب بصورة مقصودة أو غير مقصودة، واختيار المناسب منه والثناء عليه ورفض السيء منه والتدليل عليه، وقد تصطلح الباحثة عليه -إن صح التعبير- بالقدرة على التصفية السلوكية، وبخاصة في عصر تتسارع فيه التغيرات وتعظم فيه التحديات. وبذلك تعظم الحاجة إلى التربية الأسرية في عصر الانفجار المعرفي المتلاحق في الميادين كافة (الصحة والطب الوقائي والتغذية والعلاقات الإنسانية ورعاية الطفل...). ويشهد العصر تقدماً تكنولوجياً مذهلاً بوسائل مؤثرة مثل: الإنترنت والهاتف المحمول وغيرها، التي انعكس أثرها في الحياة الأسرية[2] سواء على المستوى التنظيمي أو القيمي. ويتطلب الحفاظ على المستوى التنظيمي والقيمي لأفراد الأسرة وحدة المعيار في التربية الأسرية، الذي يعني في أحد وجوهه اتفاقاً على الثوابت مع مرونة التطبيق. وإلى هذا المعنى يشير أحد الباحثين بقوله: "والأصل بأن التربية الأسرية تجمع بين الأصالة والحداثة -يعني بها المعاصرة وليس مذهب الحداثة- والتي يمكن تسميتها بالتربية الانتقالية [...]

(١) سيلامي، نوربير. **المعجم الموسوعي في علم النفس**، ترجمة: وجيه أسعد، دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٠م، ج٢، ص٥٧٥ (بتصرف).

(٢) أحمد، **التربية الأسرية في الولايات المتحدة الأمريكية والدروس المستفادة**، مرجع سابق، ص١٧٤.

فالتربية التقليدية لا تتفق مع مجتمع يتجه نحو الحداثة، والتربية الحديثة لا تتفق أيضاً مع مجتمع لم يصل إلى درجة الحداثة تماماً [...] فإن عدم الاتفاق على أسس حياتية واضحة ينشأ عنه تباين وتصادم بين ما هو تقليدي وبين ما هو حديث [...] والنتيجة المتوقعة من ذلك هي الفوضى التربوية."[1]

وترى الباحثة أن تضطلع التربية الأسرية بدورها فيما يتعلق بمستوى العلاقة الزوجية، بتهيئة الأبناء على القيام بالواجبات الزوجية، وتكون القدوة هنا من أهم أساليب التربية، بالإضافة إلى جملة التوصيات الوالدية للأبناء عند إقبالهم على الزواج، للوفاء بحق الميثاق الغليظ،كما سمته الآية الكريمة: ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ﴾ [النساء: ٢١]. أما ما يتعلق بالعلاقة الوالدية بشقيها (الأبوة والبنوة)، فإن التربية الأسرية تعيِّن على الوالدين -بما تقتضيه أبوتهما- رعاية أبنائهم الشاملة، وتربيتهم، وما يلازمها من متابعة تصرفاتهم وتقويمها. وتستلزم البنوة أن يربى الأبناء على احترام الوالدين والإحسان إليهما، إلا أن البنوة البارة لا يكتفى فيها بالتنظير، لأن أحاديته المنفصلة عن التطبيق مثلب يمنع الصورة الصحيحة من الاكتمال، وينأى بسلوك الأبناء عن كمال الامتثال، فتتشوه الصورة، وهذا يعيد التأكيد من جديد للتوجه إلى الأسرة الممتدة التي يظهر فيها عنصر الأجداد، فيتسنى للآباء تقديم نماذج عملية من البنوة البارة لأبنائهم. أما ما يتعلق بعلاقة الأخوة، فأن يربى الأبناء بطريقة متوازنة لا ينكر فيها واجب أحد أو حقه على غيره، مع التركيز على حميمية العلاقة الأخوية وإنسانيتها، وبذلك ندرك الحكمة في حديث المصطفى ﷺ "من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا، فليس منا."[2]

---

(١) ربيع، حمد الله. **الفوضى التربوية في الوسط الغربي: مسؤولية الأسرة والمجتمع**، باقة الغربية - فلسطين: أكاديمية القاسمي، ٢٠٠٥م، ص٢٩-٣٢ (بتصرف).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل. **الأدب المفرد**، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٩م، باب: فضل الكبير، حديث رقم٣٥٣، ص١٢٩. والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، وقال الألباني: "حديث صحيح".

ثانياً: المؤثرات الفكرية

١- الداروينية الاجتماعية وقيم ما بعد الحداثة:

أ- تمهيد تاريخي لظهور المذاهب الفكرية في الغرب:

تعددت المذاهب الفكرية في الغرب بتعدد الانحدارات الفلسفية الثلاثة في النظرة إلى الوجود، والتي تسمى Ontology، والنظر إلى مصدرية المعرفة التي تسمى Epistemology، وما يتعلق بالمنهجية التي تسمى Methodology، وهي كلمات لاتينية الأصل يعنى الأول منها علم الوجود، والثاني نظرية المعرفة، والأخير علم المنهج أو المنهجية. وارتبط ظهور المذاهب الفكرية في أوروبا بما يسمى عصر النهضة أو عصر التنوير، وكان ذلك تقريباً في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين؛ أي بعد إحكام سيطرة الكنيسة في القرون الوسطى، التي دامت ما يقارب العشرة قرون، أي: من القرن السادس إلى السادس عشر الميلادي؛ ولذا، نجد أن ثمة من قسّم تلك الحقب في التاريخ الأوروبي إلى خمسة، هي: التاريخ، والتاريخ القديم، والعصور الوسطى، والعصر الحديث، وما بعد الحديث.[١]

وتزامن التسلّط الكنسي -الذي حجر على العقل، والذي تشهد به أقلام مفكري أوروبا[٢] حتى هذا العصر في عقوده الأخيرة- مع الانفتاح على الحضارة الإسلامية في الأندلس وغيرها، مقابل الظلام الذي تحياه أوروبا في كل مناحي الحياة، وبذلك تهيأت البيئة للثورة على الكنيسة وجعل منها النصب الذي يراد تحطيمه، وخاصة في القرن السادس عشر، ومنها ثورة لوثر مارتن[٣] التي تسمى الثورة اللوثرية عام ١٥٢٥م، وبدأ على إثر تلك الحركات ما يسمى بعصر النهضة أو عصر التنوير، وتقننت فيه المذاهب الفكرية والفلسفية التي يتوقع أن يكون

(١) حسيبة، مصطفى. **المعجم الفلسفي**، عمان: دار أسامة، ٢٠٠٩م، ص١٧٩.

(٢) أفايه، محمد. **الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة: نموذج هابرماس**، الدار البيضاء: دار إفريقيا الشرق، ١٩٩٣م، ص٢٨.

(٣) حسيبة، **المعجم الفلسفي**، مرجع سابق، ص١٨٢.

جلُّها يحرص على إخراج الدين الكنسي من دائرة الحياة ليكون الإلحاد حضن الحرية. وسمي عصر النهضة أو التنوير بذلك، لأنه أريد فيه لأوروبا أن تخرج من الظلام إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن اللاهوت إلى العقل المستقل عن الكنيسة. وهكذا تغيرت ظروف الحياة في أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية، لتكون مقدمة فيما بعد للقرن القرن التاسع عشر، فيصطلح فيه على مسمى لمذاهب جديدة تُعدّ امتداداً للمذاهب السابقة -برأي الباحثة- يسمى مذهب الحداثة Modernity، خلافاً لآراء بعض الذين عدّوا الحداثة فقط من مذاهب القرن التاسع عشر، إلا أن الباحثة وإن صادقت على رسمية الظهور في القرن المذكور إلا أنها ترى أن ما سبقها من ظروف في القرنين الماضيين -أو بالأحرى عصر النهضة- ممهد لها.

وتبعَ التغييرات المرتبطة بالتمهيد لظهور الحداثة في علم الاجتماع (أي الفكر) تغييرات أخرى في مجالات شتى -ومنها الاقتصادية- لضمان توزيع عادل للثروة، وإنصاف طبقة الشعب التي عانت من سلطة نظام الحكم، وبدأت حركات آدم سميث (توفي١٧٩٠م) والماركسية والشيوعية بالظهور.[١] أما الدين، فإن الغضب توجه نحو رجاله الذين حكموا عقول الناس باسم سلطة الدين -والتي جعلت روما مقراً رئيساً لها- مروجين لتفسيرات عن العلم والحياة في حيّز الدين ليس للعقل البشري فيها أدنى إرادة أو قدرة على الفهم أو المخالفة. فعندما بدأ التقدم العلمي وقوانين نيوتن (توفي١٧٢٧م) في الفيزياء بالظهور، ونظرية داروين (توفي١٨٨٢م) في علم الأحياء والبيولوجيا؛ كان ذلك مخرجاً لإمكانية الاستقلال عن الدين وتنحيته عن دائرة الحوار والحياة؛[٢] لينتقل مباشرة إلى تأليه العقل والاعتماد عليه، بما يكذّب ادعاءات رجال الدين.

ما سبق ذكره من ظروف عاشتها أوروبا خلال قرنين من الزمان، مهدت لظهور ما يسمى بالحداثة في القرن التاسع عشر -بصورة رسمية- على يد

(١) المرجع السابق، ص١٨١.

(٢) المرجع السابق، ص١٨٢.

الأديب الفرنسي شارل بودلير (١٨٦٧م)،[١] إلا أن جذورها ضاربة في عصر التنوير، فكلها امتدادات تاريخية ثقافية؛ إذ كل حقبة تمهد للتي تليها. ووجدت الباحثة لهذا الرأي موافقات لدى باحثين آخرين.[٢] لقد توسّط فكر الحداثة حقبتين في التاريخ الأوروبي، كل حقبة أفرزت مذهبا رئيساً، سابقة ممهدة له وهي التنوير والعقلانية، وتالية أسست لها الحداثة مع ظهور الرأسمالية، وشيوع ثقافة الاستهلاك وانتصار صناعة الخدمات والمال والمعلومات على المصنع التقليدي وسرعة التبدد والزوال والتغيير بما يسمى مذهب "ما بعد الحداثة"، الذي بدأ العالم الغربي بالتحول إليه في عقد السبيعينات من القرن العشرين، إلا أنه بلغ أوجه في الثمانينات من القرن المذكور في السجالات الفكرية والفلسفية بين مؤيدي الحداثة ورائدهم يورغن هابرماس، ورائد ما بعد الحداثة جان فرانسوا ليوتار (ليوطار).[٣] ولذا، ظهر من يسمي الحقب

(١) للاستزادة عن أعلام المذهب، انظر:
- الندوة العالمية للشباب الإسلامي. **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، الرياض: دار الندوة، ٢٠٠٣م، ج٢، ص٨٦٧.

(٢) للاستزادة، انظر:
- التركماني، عبد الله. "أسس الحداثة ومعوقاتها في العالم العربي المعاصر"، ورقة قدمت -بالنيابة- في: الندوة التي أشرفت عليها مؤسسة الشجرة للذاكرة الفلسطينية، دمشق، المركز الثقافي العربي بمخيم اليرموك، ٦-٩ كانون الأول ٢٠٠٤م، ص٣.
- الخطابي، عز الدين. **أسئلة الحداثة ورهاناتها في المجتمع والسياسة والدولة**، بيروت: الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٩م، ص١٧-١٨.

(٣) للاستزادة، انظر:
- جديدي، محمد. **الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي**، الدار البيضاء للعلوم، (د. ت.)، ص١٤٢-١٤٤.
- إيغلتون، تيري. **ما بعد الحداثة وما بعد الحداثية**، ضمن: **ما بعد الحداثة: تحديديات**، ترجمة: محمد سبيلا، وعبد السلام بنعبد العالي، المغرب: دار توبقال للنشر، ط١، ٢٠٠٧م، ص١٠.
- المسيري، عبد الوهاب، والتريكي، فتحي. **الحداثة وما بعد الحداثة**، دمشق: دار الفكر، ط١، ٢٠٠٣م، ص١٣-١٤.
- العبد الكريم، راشد. "أثر ما بعد الحداثة في التعليم نظرة عامة"، ورقة عمل مقدمة: للقاء الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية السنوي، الرياض، ١٤٢٤هـ، ص٣.

الثلاث المذكورة في التاريخ الأوروبي بالمشروع التحديثي (التحديث-الحداثة-ما بعد الحداثة).[١]

ب- مذهب ما بعد الحداثة Post modernity:

يُعدّ التمهيد السابق لظهور مذهب الحداثة وما بعد الحداثة، وسائر المذاهب الفكرية في أوروبا ضرورة منطقية؛ إذ إن الحديث عمّا بعد الحداثة يستلزم التفصيل في مذهب الحداثة الذي سبقه ولا يزال ينافسه في الظهور والتأييد. إن لفظ الحداثة Modernity في أصله اللاتيني يعني "الآن" أو "في هذه اللحظة"، وأول من استخدمه الإنكليز، ليكون مقابلاً لمعنى "قديم"، وبخاصة في عصر الملكة إليزابيث الأولى (١٥٢٣م-١٦٠٣م) ثم شاع استخدامه في سائر أوروبا.[٢] إن الحداثة المنحدرة من فلسفة الأنوار أعلنت مركزية الإنسان في الكون[٣] واستقلاله عن الوحي، وأنه بعقله قادر على تقديم تفسيرات لنفسه وبيئته والكون. وبالإمكان وضع أبرز معتقدات مذهب الحداثة وأفكاره في أربعة أبعاد، تلخص ثلاثة مظاهر (فوقية العقل، وكرامة الإنسان، ونسبية المصالح). وهذه الأبعاد هي:[٤]

- العقلانية: بالإعلاء من شأن العقل ومقايسه؛ لاعتبار الإنسان مركز الكون.
- الحرية والفردية: لتأكيد حق الإنسان في تقرير مصير شؤونه المدنية، وبخاصة المرأة.

---

(١) عماد، عبد الغني. **سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكالات من الحداثة إلى العولمة**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦م، ص٢١٣.

(٢) الحاج، كميل. **الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي**، بيروت: مكتبة لبنان، ٢٠٠٠م، ص٢٠١.

(٣) المسيري، والتريكي، **الحداثة وما بعد الحداثة**، مرجع سابق، ص١٤.

(٤) للاستزادة، انظر:
- التركماني، **أسس الحداثة ومعوقاتها في العالم العربي المعاصر**، مرجع سابق، ص٣-٥.

- العلمانية: لفصل السلطة السياسية عن المؤسسة الدينية، والانطلاق من الإنسان بوصفه مفهوماً مرجعياً للممارسات الإنسانية في شتى مجالاتها.
- التاريخانية: لاعتبار معقولية التحول والتغيير للمجتمع، وهو نمو خاضع لمعايير التقدم وبخاصة العلمي منها؛ أي الثورة على الثبات.

وبالإمكان اعتبار أن العلاقة المفترضة في المذهب الحداثي بين الإنسان والطبيعة، علاقة صراع ابتداء.

إن المقارنة بين الحداثة وما بعد الحداثة قد تدخل الباحث في سجال فكري كما يرى بعض الباحثين؛ إذ يرون أن بينهما قاسماً مشتركاً هو الحداثة بمعانيها، إلا أن نقطة الخلاف في مقطع "ما بعد"، فهي بذلك تكون مرحلة مرتبطة بالحداثة في الزمن أو الأسلوب أو كليهما معاً،[1] فإن اعتُمِد الفرق الزمني تكون ما بعد الحداثة المرحلة الزمنية اللاحقة للحداثة، جراء تغيير الأنساق المعرفية والثقافية والاجتماعية، وظهور مجتمع وسائل الإعلام والرأسمالية متعددة الجنسيات، في حين أن تبني الأسلوب يلخص في فرقية التطبيق لكلا المذهبين في واقع الحياة. ويرى آخرون أن الجدال الفلسفي هو في مناقشة مفرزات الحداثة السلبية بغية تجاوزها، وفي ذلك يدَّعي "هابرماس" أن الذين ناقشوا ما بعد الحداثة لإسقاط الحداثة كانوا في الحقيقة يدورون مرة أخرى في فلك الحداثة.[2] ويتجه بعضهم إلى أن تيار ما بعد الحداثة نشأ ردة فعل للحداثة؛ إذ يعبّر عن حالةٍ لرفض الغلو في الثقافة الغربية المستندة إلى العقل حتى وصلت ما بعد الحداثة للثورة على العقل والتشكيك في البدهيات.[3]

---

(١) للاستزادة، انظر:
- جديدي، **الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي**، مرجع سابق، ص١٤٢-١٥٠.

(٢) أفايه، **الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة: نموذج هابرماس**، مرجع سابق، ص١٢١.

(٣) العبد الكريم، **أثر ما بعد الحداثة في التعليم نظرة عامة**، مرجع سابق، ص٣. انظر أيضاً:
- تورين، آلان. **نقد الحداثة**، ترجمة: أنور مغيث، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧م، ص٣٠-٣١.

وبعد قراءته الواعية للحداثة وما بعد الحداثة، رأى المسيري أن نشأة ما بعد الحداثة مرتبطة باليهودية والصهيونية والنظام العالمي الجديد،[1] وأن العالم الغربي في تنقله من الحداثة إلى ما بعد الحداثة انتقل من المركزية (أي مركزية الإنسان في الكون، التي نادت بها الحداثة) إلى العدمية والتفككية التي آلت إليها ما بعد الحداثة؛ أي: من العقلانية إلى اللاعقلانية؛ إذ تراجع الجوهر الإنساني في العصر الحداثي لصالح مصطلحات ثلاثة هي (الآلة، والسوق، والقوة)، ثم اختزل الإنسان في شيء أحادي البعد (الجسد والجنس واللذة) في عصر ما بعد الحداثة.[2] وسواء مركزية الإنسان في العصر الحداثي أو جسديته في ما بعد الحداثة، فكلاهما لم يحقق للإنسان السعادة، وإن كانت هي الغاية المدعاة وراء انطلاق مثل تلك الصيحات الفكرية. وبذلك أكدت ما بعد الحداثة انحسار السعادة في الجسد الإنساني ولذته، مقابل خسارة جوهره الحقيقي. وهذا ما دعا المسيري إلى نحت مصطلحي المادية القديمة الصلبة (مرحلة العقلانية في الفكر الغربي)، والمادية الجديدة السائلة (التي عبر عنها بما بعد الحداثة) لتفسير التحوّل من الحداثة إلى مابعدها.[3]

وفي ضوء ما سبق، فإن مصطلح "ما بعد الحداثة" يعد من مصطلحات النفي السلبية، وهو ترجمة لكلمة post-modernism أو postmodernism؛ إذ

---

(١) لمزيد من التفاصيل، انظر:
- المسيري، والتريكي، **الحداثة وما بعد الحداثة**، مرجع سابق، ص١٣١-١٥٩.
- إبراهيم، رزان. "رحلة عبد الوهاب المسيري الفكرية دراسة في المقاصد والمنهج"، **مجلة إسلامية المعرفية**، عدد٦٨، ص٢٠.

(٢) المسيري، والتريكي، **الحداثة وما بعد الحداثة**، مرجع سابق، ص١٥.

(٣) للاستزادة، انظر:
- المسيري، والتريكي، **الحداثة وما بعد الحداثة**، مرجع سابق، ص١٥.
- العبد الكريم، **أثر ما بعد الحداثة في التعليم نظرة عامة**، مرجع سابق، ص٤-١١.
- جديدي، **الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي**، مرجع سابق، ص١٧٤-١٧٧.

يستخدم كلاهما للدلالة على الشيء نفسه، وبذلك تختلف أبعاد المصطلح محل التعريف "ما بعد الحدثة" تبعاً لاختلاف المجال محل النظر (الأدبي والاجتماعي وغيره).[1] وبعد القراءة لما بعد الحداثة، يمكن القول إن أبرز الأفكار التي دعت إليها تتلخص في ما يأتي:[2]

- التشكيكية ونقض المسلّمات.
- التوجه إلى مثلث (الجسد والجنس واللذة).
- نفي الحقيقية المطلقة على المستوى "الأنطولوجي" Ontology، وهذا يترتب عليه: الإيمان بالتعددية Multiplicity والنسبية مقابل الوحدة؛ أي تعددية النظرة والتفسير للقضية الواحدة دون أن يعيب أحد تفسيراً آخر. والتوجه إلى اللاهوية؛ إذ إن هوية الفرد دائماً متغيرة ومتعددة تتبع رغباته وعلاقاته؛ فهي دائمة التغير والتشكل. وتعد بذلك ما بعد الحداثة انكفاء على الذات بدلاً من تحقيق الذات. وبما أن اللغة عندهم هي وسيلة المجتمع لصناعة الأفراد، وقوانين اللغة هي نفسها القوانين التي تحكم الواقع، وما دامت اللغة هي وسيلة التعبير عن الفكر وليس هناك حقيقة مطلقة؛ إذن، ليس هناك تراكيب ذات معنى نهائي أو محدد في اللغة، وهو ما أسموه "سجن اللغة".
- نفي الموضوعية والعقلاينة على المستوى "الإبستمولوجي" Epistemology، وهذا يترتب عليه: الذاتية، فما دام ليس هناك حقيقة مطلقة؛ إذن، لا نستطيع الفصل بين العارف والمعروف في البحث العلمي، كلٌّ يقرأ الأفكار في سياقه الذاتي والاجتماعي المحدد، فلا وجود للموضوعية كما يدعون؛

(١) المسيري، والتريكي، **الحداثة وما بعد الحداثة**، مرجع سابق، ص٨١.

(٢) للاستزادة، انظر:
- المسيري، والتريكي، **الحداثة وما بعد الحداثة**، مرجع سابق، ص٨١-٩٥.
- جديدي، **الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي**، مرجع سابق، ص١٧٦-١٧٧.

فهم يرون أن المعرفة والحقائق عناصر ووسائل متداخلة للسلطة والهيمنة، وليستا محايدتين.

ت- الداروينية الاجتماعية:

أسس عالم الأحياء الإنجليزي تشارلز داروين (توفي١٨٨٢م) نظرية مادية في تطور الكائنات الحية، لم يقف أثرها عند ميادين العلوم الطبيعية، بل تعداها إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية فيما بعد. ويرى بعضهم أن نظرية دارون مستندة إلى أفكار كهنة بابل وآشور الذين اعتقدوا أن بدء التكوين الإنساني كان بكتلة لزجة لا شكل لها ولا صورة، إلا نفخة من الخالق، ثم تقلبت تلك الكتلة بفعل الطبيعة إلى مراحل متعددة حتى وصلت إلى صورة الشكل الإنساني على ما يبدو عليه الآن.[١] وترتكز نظرية التطور إلى عوامل رئيسة تعطي بدورها المعنى المراد للداروينية إذا أطلقت، وهي:[٢]

- التغير والتحول: أي إن الأنواع ينشأ بعضها من بعض وبخاصة النوع الإنساني، المنحدر من أنواع حيوانية شبيهة بالقرد، ويؤدي ذلك التحول إلى ظهور صفات ووظائف جديدة.
- الوراثة: الصفات التي نشأت عن التغيّر والتحوّل ترسخ وتورث في الأجيال اللاحقة للكائنات الحية.
- الانتخاب الطبيعي: التغير والتحول المذكور من الصفات والوظائف يشير إلى قدرة تلك الكائنات على التكيّف مع البيئة من أجل البقاء.

---

(١) المدرسي، هادي. **عن الإنسان والمادية الداروينية**، بيروت: دار التعاون للمطبوعات، (د. ت.)، ص١٢.

(٢) يفريموفا، ناتاليا. وسلوم، توفيق. **معجم العلوم الاجتماعية مصطلحات وأعلام**، موسكو: دار التقدم، ١٩٩٢م، ص١٧٠-١٧١. انظر أيضاً:
- عثمان، صلاح. **الداروينية والإنسان نظرية التطور من العلم إلى العولمة**، الإسكندرية: منشأة المعارف، ٢٠٠١م، ص٣٧.
- صليبا، جميل. **المعجم الفلسفي**، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧١م، ج١، ص٥٥٦.

وبعد القراءة في الموضوع،[1] تبين أن الانتخاب الطبيعي يتضمن -على حد تعبير الباحثة- متلازمتين تلقائيتي المعنى له، هما:

- الصراع من أجل البقاء: إذ إن الكائنات تحمل نزعة نحو التضاعف العددي مع ثبات أعداد النوع الواحد في النهاية، مما يعني أنها تعيش حالة مستمرة من الصراع والتنافس الحاد فيما بينها على احتياجات الحياة من أجل البقاء، مما يؤدي إلى هلاك بعضها في النهاية.
- بقاء الأصلح (الأقوى): وتشير إلى أن الكائنات التي تمتلك قدرة أكبر للتغير في صفاتها بحيث تصبح صفات إيجابية من أجل التكيف مع بيئاتها، تيسر لها فرص أكبر للبقاء من بين المخلوقات التي لا تمتلك تلك الصفات، ومن ثمّ، تنتخب الطبيعة -على حد تعبيرهم- الأنسب في الصراع الدائم من أجل البقاء، وتقضي على الرديء منها، على اعتبار أن الحياة معركة صراع من أجل البقاء، والمنتصر فيها هو الأصلح للبقاء.

وقد أعطى داروين للانتخاب الطبيعي الوزن الأكبر من بين عوامل نظريته، ويعد الجوهر الحقيقي لها، الذي أسس فيما بعد -الانتخاب الطبيعي بمتلازمتيه- للداروينية الاجتماعية؛ إذ يعد علم الاجتماع الحضن الأول لها، قبل أن يتم تصديرها إلى باقي العلوم الإنسانية والتربوية، وأصبحت فلسفة عامة يؤمن بها الغرب تركت طابعها على ذاك المجتمع. ونقلت الداروينية الاجتماعية مبادىء علم الأحياء إلى الإنسان وعلاقاته مع الآخرين في المجتمع، فآمنت بمبدأ الانتخاب الطبيعي بمتلازمتيه: الصراع من أجل البقاء والبقاء للأقوى، بوصفهما

(١) للاستزادة، انظر:

- المدرسي، **عن الإنسان والمادية الداروينية**، مرجع سابق، ص٢٨.
- عثمان، **الداروينية والإنسان نظرية التطور من العلم إلى العولمة**، مرجع سابق، ص٣٩.
- عبد المعبود، كريم. **الخلق بين العنكبوتية الداروينية والحقيقة القرآنية**، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة، ٢٠٠١م، ص١٢٠.
- غربال، محمد شفيق (مشرف). **الموسوعة العربية الميسرة**، القاهرة: دار الشعب، ١٩٦٥م، ص٧٧٥.

أبرز عاملين للتقدم الاجتماعي. ووصل ببعضهم الاعتقاد بأن جذور الشرور الاجتماعية تنبع من التكاثر الكثيف لأناس غير أصحاء وناقصين، ومن أبرز أتباع هذه المدرسة: هربرت سبنسر (توفي١٩٠٣م)، وفردريك لانغ (توفي١٩٤٨م).[١]

وبالإمكان تلخيص أبرز أفكار الداروينية الاجتماعية، بما يأتي:[٢]

- في كل جيل يصمد الأفراد الأكثر ذكاء وقدرة على الاتزان في الحياة، في حين يموت الأضعف قدرة، وهكذا تتحسن المجتمعات وتنمو.
- العملية سابقة الذكر تسمى الاصطفاء (الانتخاب) الطبيعي.
- تعد مساعدة الفقراء والمحتاجين تدخلاً سلبياً في عملية الاصطفاء سابقة الذكر، لأن الاصطفاء الطبيعي هو للأفراد الأكثر ملاءمة.

وما سبق وجد رواجاً بين الأثرياء والطبقات العليا في المجتمع والأكثر نفوذاً؛ لئلا يشعروا بالذنب في مجاعات الآخرين وموتهم الاجتماعي. وبذلك وجد أصحاب المذاهب الإلحادية متنفساً للتخلص من التفسير اللاهوتي لرجال الدين الكنسي لأصل الإنسان، والذي يرد أصل جميع البشر إلى آدم عليه السلام،[٣] وقبلوا أن يكونوا منحدرين من أصول حيوانية شبيهة بالقرد، مقابل التخلص من أي تفسير ديني لذاك الخلق، تأكيداً منهم على فصل الدين عن الحياة.

وارتبط رواج النظرية الداروينة وانتقالها من الحس البيولوجي إلى الاجتماعي بالمعنى الذي سبق بيانه بتغيرات شهدها المجتمع الأوروبي آنذاك في شتى المجالات، منها: ازدياد الاتصال بالشعوب البدائية جراء

---

(١) الحاج، **الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي**، مرجع سابق، ص٢٢١.

(٢) يفريموفا، وسلوم، **معجم العلوم الاجتماعية مصطلحات وأعلام**، مرجع سابق، ص١٧٠-١٧١. انظر أيضاً:
- نخبة من المتخصصين. **مبادىء علم الاجتماع**، القاهرة: الشركة العربية المتحدة للتسويق بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة، ٢٠٠٩م، ص٣٥-٣٦.

(٣) حسيبة، **المعجم الفلسفي**، مرجع سابق، ص١٨٣.

حركات الكشوف الجغرافية والاستعمار وتكوين الإمبراطوريات، بالإضافة إلى الكتابات السياسية، إما لتسويغ نظام قائم (متمثل بالرأسمالية) أو تسويغ الثورة عليه (بديمومة الاشتراكية)، وإن كان الأمر قد انتهى في نهاية المطاف إلى الجيب الرأسمالي الليبرالي تحت مسمى العولمة.[1] وتحتل الداروينية الاجتماعية في عصر العولمة مكاناً بارزاً في برامج الرأسمالية الإمبريالية وخططها، التي آلت إلى تعاسة المجتمع بدلاً من تحقيق الرفاه المنشود. إن تعاسة المجتمع الداروينيي-إن صح التعبير- نتجت عن إسقاط مبادىء التطور الداروينيي وعوامله على القيم الإنسانية والسلوك الإنساني، باعتماد مبدأ التطور المستمر للقيم والصراع من أجل البقاء للأصلح (الأقوى) فيما يتعلق بالسلوك الإنساني.[2]

ويُعدّ تعويم القيم الإنسانية وإخضاعها للتطور المادي المرهون بالوضع الاقتصادي لمجتمع ما، إقصاء لها عن الثبات أو تبوء مركز المعيارية المحققة لذاك المجتمع، ومن ثم، لا معنى للعفة أو الرذيلة إلا بما يحكمه الوضع الاقتصادي للمجتمع في حيز الزمان أو المكان، فقد تكون العفة رذيلة، وتارة تنقلب الرذيلة إلى عفة، وهكذا، وأن يحكم السلوك الإنساني بمعركة التنافس والصراع من أجل البقاء، بوصفه حافزاً وحيداً للعمل والإنتاج، على أساس أن الإنسان حيوان متطور يتضمن افتراضه مخلوقاً شريراً ابتداء يحمل نزعة العدوان، وهذه الأخيرة سلاحه الآكد في محاربة الآخرين وشق طريقه نحو النجاح، ليكون الأصلح -الأقوى-الذي تنتخبه وتصطفيه الطبيعة، فيضمن البقاء. إن افتراض نزعة العدوانية وعلاقات الصراع مع الآخرين والكون من حولهم آلت بأصحابها إلى نهب مقدرات الكون التي تعد مشكلات التلوث البيئي جزءاً منها.

---

(١) عثمان، **الداروينية والإنسان نظرية التطور من العلم إلى العولمة**، مرجع سابق، ص١٣٧.

(٢) المدرسي، **عن الإنسان والمادية الداروينية**، مرجع سابق، ص١٧٨-١٨١.

وعلى إثر التفسير الداروينى لنزعة الإنسان العدوانية النابعة من حيوانيته، نشأت في العلوم الإنسانية والتربوية اتجاهات مؤيدة تفسر السلوك الإنساني بوصفه حيواناً متطوراً ومنها: صيحات سيجموند فرويد (توفي١٩٣٩م) في علم النفس التي تربط السلوك الإنساني بنزعتين هما: الجنس والعدوانية.

ثالثاً: الحركات النسوية العالمية للمطالبة بالمساواة المطلقة

يشير مصطلح الحركة عموماً إلى معنى "ديناميكي" ضد الركود ويعبّر عن نشاط العناصر داخلها، ويحقق درجة من الاستمرار والتنظيم بهدف التغيير تقوم به فئة معينة.[١] وتتعدد الحركات وتتنوع تبعاً للمجال الذي تنشأ فيه؛ ففي المجال السياسي حركات سياسية، وفي المجال الاقتصادي حركات اقتصادية، وفي المجال الاجتماعي حركات اجتماعية، وخاصة فيما يتعلق منها بالأسرة والطفولة والمرأة. وتعد الحركات النسوية المنادية بحقوق المرأة وحرياتها إحدى الحركات الاجتماعية؛ إذ تعني الأخيرة: " ذاك الجهد الموحد والمتصل الذي تقوم به مجموعة لتحقيق أهداف مشتركة بين أعضائها، وتختلف درجات التنظيم، واستمرار الأهداف داخل نطاق الحركة الاجتماعية الواحدة ووضوحها تبعاً لمراحل تطورها."[٢] ويرى المهتمون بالبحث في الحركات الاجتماعية أنها تستمد بواعث قوتها ووجودها من السخط على الحالة السائدة، بالإضافة إلى الرغبات والآمال المتطلعة إلى تخطيط وضع جديد. وتنمو الحركات الاجتماعية بتدرج واضح في الوظائف والقيادات والتنظيمات حتى يصبح لها شكل راسخ من القيم والقواعد الاجتماعية. وعليه، تم تقسيم الحركات الاجتماعية إلى أنواع، هي:[٣]

---

(١) الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة اليونسكو. **معجم العلوم الاجتماعية**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م، ص٢٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص٢٢٧.

(٣) المرجع السابق، ص٢٢٧.

- عامة: مثل الحركات النقابية والعمالية.
- خاصة: الحركات المضادة لنظام الرق.
- تعبيرية: كالحركات الدينية، وحركات تجديد الأساليب والأنماط والطراز السائد، وأهمها حركة تحرير المرأة والمطالبة بحقوقها.

وتجتهد الباحثة في مساواة واعتبار مسمى الحركات التعبيرية المشار إليها بالحركات "الإيديولوجية".

١- تعريف الحركة النسوية Feminism وتاريخ ظهورها ومسمياتها:

تُعرف الحركة النسائية Feminism أنها حركة جماعية تقوم بها النساء -في الغرب خاصة- لتغيير أدوارهن وأوضاعهن في المجتمع،[١] بما يشير إلى أوضاع غير مرضية لنساء ذاك المجتمع، سواء على المستوى السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو غيره. إن ظهور أية حركة -بغض النظر عن مسماها وتوجهاتها- إنما تسبقها ظروف تهيئ التفاف الأفراد حول صيحاتها. وقد مرت الحركات النسوية في مراحل، ولكل مرحلة ظروفها.

وهناك من يرى أن تاريخ نشوء الحركات النسوية-التي موطنها الأصلي الغرب- يرجع إلى القرن السابع عشر الميلادي،[٢] إذ برزت بداية عصر النهضة وما تلاه من ظهور مذاهب كثيرة، منها الماركسية بقيادة كارل ماركس وفريدرخ إنغلز، اللذين عدّا الأسرة والدين من عوامل إعاقة تقدم المجتمع. وعليه، شجعا خروج المرأة للعمل في المصانع وترك الأسرة موطنها الأصلي بوصفها قيداً من القيود التي تعيق نهوض المرأة، ومع ذلك، بقيت حقوقها هامشية في العمل بعيدة كل البعد عن المساواة حتى في الإنسانية مع الرجل، بالرغم من الصيحات التنظيرية التي أخرجتها من البيت. وعليه، بدأت تتشكل الحركات

(١) مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع. **الموسوعة العربية العالمية**، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٩٩٦م، ج٩، ص٢٨٠.

(٢) رشاد، علي أكبر. "ظاهرة العصبوية النسوية"، ترجمة: خالد توفيق، **مجلة المنهاج**، عدد٢٥، ص٣٠٩-٣١٨.

النسوية في الغرب. وتعد أمريكا وبريطانيا مركزاً لها للمطالبة بحقوقها المدنية والسياسية، وهذه سميت الحركة النسوية القديمة. وثمة من يُرجع تاريخ النشأة إلى القرن التاسع عشر،[١] ففيه خرجت المرأة في الغرب للمطالبة بحقها في التعليم والميراث وغيرها، ثم تطورت الحركة ونحت منحى آخر في ستينات القرن العشرين،[٢] واتخذت طابعاً "إيديولوجياً" شاذاً عبرَّ عن مرحلة جديدة من الحركات النسوية هي الحركات النسوية الحديثة أو المعاصرة. ومن أبرز الظروف التي هيأت التحول المذكور للحركة النسوية الحديثة: النظرة الاجتماعية للمرأة بوصفها من طبقات المجتمع الوسطى، التي تجعل منها ربة بيت فقط -أي غير عاملة-، بالإضافة إلى الاستمرار المجتمعي بالتفرقة في الأجور بين الرجال والنساء في أماكن العمل، وعدم وصولها إلى السلطة السياسية بمساحة مقبولة[٣] أو منصب جدير بالذكر، كما أن التحول زامنه تحول العالم الغربي من عصر الحداثة إلى عصر ما بعد الحداثة، ومعه تحولت كل التوجهات الفكرية في شتى الميادين؛ لأن مذهب ما بعد الحداثة يحمل تصوراً تمتد أطره إلى الحياة بشتى ميادينها، وهذا ما جعل الحركة النسوية الحديثة مركزها الأول أمريكا -مركز ما بعد الحداثة- ثم تنطلق إلى سائر بلاد العالم.

وبعد النظر في الرأيين المتعلقين بتاريخ نشوء الحركات النسوية التي يرجع بعضها إلى القرن السابع عشر والآخر إلى التاسع عشر، ترى الباحثة أن بروز أي مذهب أو تيار إلى السطح يعني مروره بثلاث مراحل مترابطة ومتكاملة، وكل واحدة تعد مدخلاً للأخرى، وهي -إن صح التعبير-: المرحلة الجنينية ثم مرحلة المخاض وأخيراً الولادة الحقيقية، وهذا التوجه الذي اجتهدته الباحثة يتوافق مع التدرج المتفق عليه في أي حركة اجتماعية، التي تعد الحركة النسوية جزءاً منها.

(١) عدوان، نورا بنت عبدالله. "الحركة النسوية الغربية وآثارها في ظل الانفتاح العالمي"، المؤتمر العالمي التاسع للندوة العلمية للشباب الإسلامي، الرياض، ٢٣-٢٦ شعبان ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٢) مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، **الموسوعة العربية العالمية**، مرجع سابق، ج٩، ص٢٨٠.

(٣) المرجع السابق.

وعليه مرت الحركة النسوية بمرحلة جنينية كان القرن السابع عشر الميلادي حضناً لها بظروفه الاجتماعية والاقتصادية، ثم بدأت مرحلة المخاض وآلامه لتوقع الولادة الحقيقية، فبرزت الحركة النسوية بصورة رسمية بشكلها الأولي الذي قد يعد بحق أهله بريئاً للمطالبة بالحقوق الإنسانية للمرأة مثل: التعليم والصحة وغيره، ثم جراء التحول من العصر الحداثي إلى ما بعد الحداثي وفوضوية توجه الأخير، تأتي مرحلة الولادة الحقيقية للحركة النسوية التي استقرت عليها، وهي صورة الحركة النسوية الحديثة أو المعاصرة. وعليه، يمكن تقسيم الحركات النسوية إلى نوعين هما:

أ- النسوية القديمة: التي برزت في القرن التاسع عشر، وشعارها المساواة في الإنسانية مع الرجل، وتعبّر عن مأساة عاشتها المرأة في ظروف المجتمع الغربي في القرن المذكور وما سبقه، وبالإمكان تسميتها "نسوية النشأة"، علماً بأن بعضهم قد يسميها نسوية المساواة Equity Feminism،[١] وآخرون يسمونها النسوية التقليدية Traditional Feminism.[٢]

ب- النسوية الحديثة أو المعاصرة: وقد يطلق عليها بعضهم مسميات أخرى مثل: العصبوية النسوية، والحركة الأنثوية؛ أي إنها تنحاز للأنثى لمجرد أنها أنثى، ونزعة التفوق النسوي، أو "الفيمينيزمية" Feminism.[٣] وهذه الحركة قائمة على "إيديولوجية" شاذة ومنحرفة تستند إلى المطالبة بالمساواة المطلقة مع الرجل، وثمة من سماها المساواة القانونية والاستقلالية الجنسية،[٤] وتعرف

(١) عدوان، **الحركة النسوية الغربية وآثارها في ظل الانفتاح العالمي**، مرجع سابق.

(٢) أبو الفضل، أماني. "تحرير المرأة العربية فلسفة الجندر نموذجاً دراسة في المصطلح والمفهوم"، مؤتمر المرأة وتحولات عصر جديد، المركز الثقافي العربي، دمشق، ٢٠-٤/٢٥/ ٢٠٠٢م.

(٣) رشاد، **ظاهرة العصبوية النسوية**، مرجع سابق، ص٣٠٩-٣١٨. انظر أيضاً:
- مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، **الموسوعة العربية العالمية**، مرجع سابق، ج٩، ص٢٨٠.

(٤) أبو الفضل، **تحرير المرأة العربية فلسفة الجندر نموذجاً دراسة في المصطلح والمفهوم**، مرجع سابق.

باسم Gender Feminism،[1] تسمية لأشهر وأبرز تيار فيها، وهو تيار الجندر النسوي[2] -من باب إطلاق الجزء على الكل-، مما يدل على سطوة ذاك الجزء وشهرته، وقدرته على الضغط على مراكز القيادة والقوة في المجتمع.

وهناك من يرى بأن الحركة النسوية -بوجهها الحديث الذي استقرت عليه بالحركة النسوية العالمية Global Feminism- تعد نتاجاً ومؤشراً للعولمة؛[3] إذ الأخيرة لها محاولات في تكريس قواها وأدواتها من الإعلام وغيره على قضايا رئيسة هي: الأسرة والسكان والمرأة، بطرحها ببعد عالمي موحد يراد منه تنميط الجميع وَفْقَهُ.

إن تغلغل الحركة النسوية الحديثة في الدراسات الاجتماعية وعلم النفس الاجتماعي أبرز نحلاً وتيارات متنوعة منها: "الليبرالية" (أو التحررية)، و"الماركسية"، والنفسية، والوجودية، و"الراديكالية"، ونسوية ما بعد الحداثة.[4] وكل تيار ينظر من زاويته في كيفية الاستقلال عن الرجل والمناداة بالمساواة المطلقة، فعلى سبيل المثال: ترى الماركسية[5] أن طبقات المجتمع تحكمها علاقة الصراع، وهي طبقية ظالمة ممثلة في الرجل وطبقة مظلومة ممثلة في المرأة، وإن تغيُّر الأوضاع لا بدّ له من الثورة على ما هو قائم وإلا استحال التغيير. أما النسوية النفسية أو -إن صح التعبير النسوية الفرويدية- فتدعو إلى تعويم

---

(١) عدوان، **الحركة النسوية الغربية وآثارها في ظل الانفتاح العالمي**، مرجع سابق.

(٢) أبو الفضل، **تحرير المرأة العربية فلسفة الجندر نموذجاً دراسة في المصطلح والمفهوم**، مرجع سابق.

(٣) مصطفى، ناديا. "الأمة الإسلامية في عصر العولمة وقضية المرأة بين التحديات والاستجابات"، مؤتمر المرأة وتحولات عصر جديد، دمشق، ٢٠-٤/٢٥/ ٢٠٠٢م.

(٤) رشاد، **ظاهرة العصبوية النسوية**، مرجع سابق، ص٣٠٩-٣١٨.

(٥) للاستزادة، انظر:

- **الماركسية والنسوية**، مركز الدراسات الاشتراكية، الموقع الإلكتروني:

- www.e-socialists.net

الهوية الشخصية وإلى الحرية في الميول الجنسية للوصول إلى إباحية العلاقات الجنسية -وبخاصة المثلية منها- وعدم عدّها صورة من صور الشذوذ.[١] أما "الراديكالية" فهي التي تنحو منحى نزعة التفوق النسوي على الرجل. أما نسوية ما بعد الحداثة، فأول ظهور لها كان في التاريخ الأدبي في القرن العشرين، وهي تقدم نقداً لاذعاً لما رأته مفاهيم اجتماعية مرتبطة بالدين البطريركي، وتحصر دور المرأة بالزواج والأمومة على أنها وظائف رئيسة لها، ومن أبرز الأدب الدال على الفكر المذكور كتاب الوعاء الزجاجي The Bell Jar للكاتبة والشاعرة الأمريكية سيلفيا بلاث Sylvia Plath.[٢]

ومع تنوع الأساليب التي تتخذها التيارات النسوية سابقة الذكر، إلا أنها بوصفها تيارات تجمعها حركة نسوية، فإنها تتوحد وتشترك في قاسمين رئيسين، هما:[٣] مفهوم النوع Gender، ومفهوم الضحية Victim. أما مفهوم النوع Gender فيدعو إلى إلغاء الفوارق بين الجنسين، وإلى أكثر من ذلك، وهو إلغاء تام لوجود مسمى ذكر أو أنثى، ومن ثم، التشكيك في مفهوم الزواج الشرعي وفطرية العلاقات الأسرية القائمة على ارتباط رجل بامرأة، وهذا ما يسوّغ شيوع استخدام مصطلح الجندر في مؤتمراتهم ومنها: مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية (حوالي٥٠ مرة) عام ١٩٩٤م،[٤] ومؤتمر المرأة في بكين (ما يزيد عن٢٠٠ مرة) عام ١٩٩٥م.[٥] أما مفهوم الضحية Victim فقائم على تعميق الشعور بكراهية

---

(١) للاستزادة، انظر:
- **مصطلحات نسوية: النسوية الفوضوية النظام الأبوي الرأسمالي**، الموقع الإلكتروني:
- www.annabaa.org/nbanews

(٢) جلال، مصطفى. "ما بعد الحداثة النسوية: قراءة في كتاب "الوعاء الزجاجي" لسيلفيا بلاث"، **مجلة أفكار**، عدد١٦٩، ٢٠٠٢م، ص٥٥-٦٣.

(٣) عدوان، **الحركة النسوية الغربية وآثارها في ظل الانفتاح العالمي**، مرجع سابق.

(٤) أبو الفضل، **تحرير المرأة العربية فلسفة الجندر نموذجاً دراسة في المصطلح والمفهوم**، مرجع سابق.

(٥) عدوان، **الحركة النسوية الغربية وآثارها في ظل الانفتاح العالمي**، مرجع سابق. انظر أيضاً:
- أبو الفضل، **تحرير المرأة العربية فلسفة الجندر نموذجاً دراسة في المصطلح والمفهوم**، مرجع سابق.

الرجل؛ لأن المرأة على حد قولهم (ضحية لوجود الرجل)، ومن ثم، تتخذ الحركات في توجهها آلية الانتقاد للرجل،[1] مفترضة أن العلاقة بينهما تقتضي تسلط أحدهما على الآخر حسبما نادت به "الداروينية" الاجتماعية، التي لم تقف عند الحد المذكور بل اعتبرت البقاء للأقوى، تاركة قيم التراحم الإنساني هائمة في حيز الزمان والمكان، فما يسلكه الأقوى هو القيمة المثلى.

٢- تيار الجندر النسوي:

ومن أبرز تيارات الحركات النسوية الحديثة وأكثرها تغلغلاً وسطوة: تيار الجندر النسوي Gender Feminism، الذي بدأت إطلالته التسللية الأولى في مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية عام ١٩٩٤م، وإقراره الحقيقي في مؤتمر المرأة في بكين عام ١٩٩٥م، وبلغت سطوته إلى تغيير مفردات اللغة ودلالاتها بنقل التعريف الأصلي للجندر -الذي يعني الفوارق بين الجنسين- إلى معنى إلغاء الفوارق تماماً بين الجنسين، وعدم الاعتراف بها أو بما يتبعها من خصائص توزيع أدوار الجنسين في الحياة، وشعاره إعادة صياغة العالم بعيون النساء الذي تبناه مؤتمر المرأة في بكين.[2] واستندت فلسفة الجندر في هذا التيار إلى النظرة الماركسية القائمة على الصراع بين الطبقات، الذي يؤكد أن على المرأة النضال المستمر للقضاء على النظام الأبوي السائد بتسلط الرجل لاسترجاع النظام الأمومي الذي يعيد لها الاعتبار. وفي ضوء ما سبق يمكن استخلاص أبرز مبادىء التيار الجندري النسوي وأطروحاته، بما يلي:[3]

---

(١) عدوان، **الحركة النسوية الغربية وآثارها في ظل الانفتاح العالمي**، مرجع سابق.

(٢) أبو الفضل، **تحرير المرأة العربية فلسفة الجندر نموذجاً دراسة في المصطلح والمفهوم**، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق. انظر أيضاً:
- عدوان، **الحركة النسوية الغربية وآثارها في ظل الانفتاح العالمي**، مرجع سابق.
- رشاد، **ظاهرة العصبوية النسوية**، مرجع سابق، ص٣٠٩-٣١٨.

- النظرة الفردية المطلقة للمرأة: بمعزل عن السياق الأسري والمجتمعي الذي تعيش فيه، مع إخلائها من كامل المسؤولية تجاه الآخرين (الزوج والطفل...)، وبالإمكان القول إن التيار الجندري النسوي = سياق فردي للمرأة + اللامسؤولية. وعليه، من حقها الكامل اتخاذ قرار الإنجاب أو عدمه دون الرجوع إلى الزوج، وكذا قضية الإجهاض وغيرها.
- القول بتماثل الجنسين: أي المناداة بإلغاء كامل الفوارق بينهما بما فيها الطبيعية وإنكارها، والادعاء أن الفوارق بين الرجل والمرأة فيها نوع من التضخيم جراء التربية الاجتماعية، وعدّ الزواج التقليدي على حد زعمهم (رجل وامرأة) من أسباب قهر المرأة. وعليه، اختير Gender بمعنى "نوع" ليحل محل Sex بمعنى جنس؛ إذ الأول محايد في حين الثاني غير محايد، كما ازدرى التيار نظرته إلى وظيفة الأمومة والزوجية والتربية وسائر الأدوار الأسرية للمرأة، وعدّها ظلماً اجتماعياً وإعاقة لنهضتها، ونظر إليها على انها أدوار هامشية لها وتسلطية من النظام الذكوري.
- المثلية الجنسية أو هوية الجندر Identity Gender: وهي مستندة إلى فلسفة فرويد التي ترتكز إلى فكرة الحرية في الميول الجنسية؛ أي تعدد الهويات الجنسية في الشخص الواحد وأنها غير مرتبطة بالتكوين البيولوجي، مما يعني إطلاق العنان للعلاقات المثلية الشاذة والمطالبة بإقرارها حقاً فردياً للشخص. وهذا بدوره يقوض البنية الفطرية للأسرة؛ وبخاصة مع تراجع معاني العفة بل تلاشيها (في بعض المجتمعات)، وأشارت الداروينية الاجتماعية أن القيم في تطور مستمر وليست ثابتة، وهو ما أيدته ما بعد الحداثة التي اتخذت من التشكيك والثورة على الثبات سبيلها الأول.
- تكريس مفهوم الضحية: بوصف المرأة ضحية للتسلط الذكوري، سواء كان ذلك ضحية لاغتصابه أو عنفه وتحرشه الجنسي وغيره، حتى إن أية علاقة لا تخضع لرغبة المرأة تعد اغتصاباً ولو كانت من قبل زوجها. وهذا يؤكد

استناد مثل هذه الحركات إلى دعاوى الداروينية التي افترضت الصراع في العلاقات، والكل يتنافس في الحصول على ما يريد.

- تمكين المرأة: ولكن ليس بالمعنى النبيل الأولي الذي يشير إليه ظاهر الكلمة، وهو رفع كفاءتها والأخذ بيدها لتتمكن من أخذ فرصتها المناسبة في الحياة، وإنما يعني التمكين في سياق التيار الجندري الالتزام بمبدأ مناصفة الحصص النسبية بين الرجل والمرأة في كل مجالات العمل، مما يعني اتكاءها على القرار دون محاولة تطوير كفاءتها.

إن من أبرز طروحات التيار الجندري النسوي، التنميط لجميع الحركات النسوية في العالم، وفرض النموذج الغربي عليها، وبخاصة وأن بروز التيار تزامن مع النظام العالمي الجديد تحت مسمى العولمة، الذي انتهى إلى الجيب الأمريكي، ومحاولة فرض نموذج تلك الدولة على بلاد العالم أجمع. ومما لا يُنكر عقلاً أن معاناة المرأة وظروفها تختلف من مجتمع لآخر ومن إيديولوجية لأخرى.. وأن فرض رؤية واحدة هي النموذج الغربي والمرأة الغربية على نساء العالم قاطبة -إن تم تصديره إلى مجتمعات مغايرة في الأيديولوجية والمبادىء كالعالم العربي والإسلامي- هي من القصور بمكان في التعامل مع قضايا المرأة. ويَعدُّ أبو البصل إحدى أوجه القصور في النظرة إلى قضايا المرأة في العصر الحديث -بالإضافة إلى فرض النموذج الغربي- ما أسماه "التنازل المنهجي في قضية المرأة" بتحولها إلى مكاسب محدودة في أدوار يُدعى أنها قيادية، وغيرها، نأت بها عن المنطلق الذي أنشئت من أجله.[1]

وما يزيد الأمر مأساة أنه يستظل برعاية هيئة الأمم المتحدة ووكالاتها، مما يعني امتلاك الأخيرة حق المحاكمة للدولة الموقِّعة التي لا تلتزم بالتعليمات التي تم بثها بصورة متنوعة ومسميات براقة في مؤتمرات المرأة في شتى بلدان العالم باسم تنمية المرأة وحريتها وحقوقها.

(١) أبو البصل، عبد الناصر. **المرأة في الاتفاقيات الدولية من منظور إسلامي**، على شبكة الإنترنت:
- www.aliftaa.jo/index.php

رابعاً: الآثار السلبية للمؤثرات الفكرية وسبل مواجهتها

١- الآثار السلبية للمؤثرات الفكرية في التربية الأسرية:

يُعدّ ما أفرزته المذاهب والتيارات الفكرية معيقاً أمام التربية الأسرية النموذجية والمنشودة بحق الأسرة الإنسانية، وقد قامت الباحثة -بعد النظر في الآثار- بتقسيمها إلى ثلاثة أبعاد، يتناول الأول منها الآثار في الأسرة عموماً من حيث: البنية والإيديولوجية والوظائف، والأهداف والمنظومة القيمية والأخلاقية، والصحة النفسية للأسرة. أما البعدين الثاني والثالث فيتناولان الأثر في المرأة والأبناء بخاصة، بالترتيب المذكور.

أ- البعد الأول: الآثار في الأسرة عموماً:

وتم تقسيمها من حيث ما يلي:

- البنية و"الإيديولوجية":

ويندرج تحت هذا البند ما يأتي:

- استبعاد المرجعية الدينية أو الاحتكام إليها في كل شؤون الحياة بما فيها الأسرة، وبخاصة أن نظرية موت الإله وتأليه الإنسان بفكره أو جسده التي أطلقتها التيارات الفكرية، أكدت أن الإنسان هو وحده مركز الكون وله السيطرة والملكية المطلقة بلا منازع.
- استناداً "للداروينية الاجتماعية" والحركات النسوية، بنيت العلاقة بين الرجل والمرأة في مستوى العلاقة الزوجية على الصراع، فحل النزاع والخصومة محل المودة والرحمة، بناء على أن الصراع والتقدم اللانهائي هما من أبرز صفات الوجود الإنساني.
- انحسار مشاعر الاحترام بين أعضاء الأسرة الواحدة؛[1] إذ يفترض كل عضو

(١) هلال، محمد. "أثر الغزو الفكري على الأسرة المسلمة وكيفية مقاومته"، (رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، ٢٠٠٠م)، ص٢٦.

منهم أن وجود الآخر يفرض عليه علاقة من التصادم والقهر مما يعني اتخاذ الموقف الدفاعي دائماً.

- تعرض الأسرة للطلاق والتهتك والتفكك بمستوييه: المعلن والمخفي، أو الاجتماعي والنفسي؛ جراء تراجع معاني الثقة وارتفاع نسب الخيانة الزوجية وغيرها.

- الانفلات والتسيب في العلاقة بين الرجل والمرأة على حساب العلاقات الأسرية المنضبطة، بوصف ذلك نوعاً من الحرية الشخصية، عبر الدعوة إلى ما يسمونه: "الزواج الحر"، و"الحب المفتوح"، و"الاكتفاء بالجنس المماثل"، و"الزواج المشاعي"، و"العلاقات الحرة"،[1] وغيرها من المسميات التي لا تحمل إلا معاني الشذوذ ومصادمة الفطرة.

- **الوظائف والأهداف:**

ويندرج تحت هذا البند ما يأتي:

- ازدراء مؤسسة الأسرة والصورة القانونية أو الشرعية للزواج، وعدّهما من الأسباب الرئيسة لظلم المرأة وقهرها الذي تعرضت له عبر التاريخ، وبذلك نِيلَ من قداسة الأسرة وروابطها المتينة،[2] ومما زاد الأمر سوءاً تعالي الأصوات التي عدّت وظيفة الأمومة ورعاية الأسرة صوراً أخرى لظلم المرأة وقهرها.

- تقنين قضايا الإجهاض والحمل والسفر وغيرها، لتكون قائمة على رأي المرأة وحدها دون مشورة الزوج أو من له حق قانوني أو شرعي أو طبي في ذلك؛ لاعتبار مذاهب ما بعد الحداثة والحركات النسوية في النظر إلى الفرد وحده بصورة مطلقة، بغض النظر عن مسؤولياته تجاه الآخرين في

---

(١) رشاد، **ظاهرة العصبوية النسوية**، مرجع سابق، ص٣٠٩-٣١٨.

(٢) المرجع السابق، ص٣٠٩-٣١٨.

الأسرة، بل الدعوة إلى الحرية الفردية مدمجة مع اللامسؤولية؛ ولذا تعالت أصوات المؤتمرات والاتفاقيات باسم الحقوق وليس الواجبات؛ أي تقديم نظرية الحق على نظرية المسؤولية.

- الدعوة إلى إلغاء كامل الفوراق بين الرجل والمرأة، بما يعني انتفاء الدور المتوقع لكل عضو في الأسرة، ومن ثمّ، انتفاء العلاقة التكاميلة لأعضائها.
- انتقال مفهوم السلطة من الأسرة إلى الدولة، بمعنى أن الأخيرة حلت محلّ الأسرة في صيانة حقوق الآباء والأبناء، مما يعني تقهقر مكانة الأسرة، وما تؤديه من وظائف تربوية واجتماعية.

- المنظومة القيمية والأخلاقية:

ويندرج تحت هذا البند ما يأتي:

- النظام الأخلاقي في فلسفة ما بعد الحداثة لا يخضع إلى اعتبارات مطلقة أو معايير ثابتة تأخذ بالحسبان ديانة الشعوب وعاداتها وقيمها، إنما هو نظام مشغول الحيز في إطاره النفعي وليس له معنى ثابت، فقيم الإخلاص والعدالة ليست بالضرورة أن تحمل المعنى الموروث والمتعارف عليه بين الناس، إنما توظف في بعدها النفعي البحت من وجهة نظر الشخص وليس الجماعة،[1] على ألا يعيب أحد على أحد فيما ارتضى واختار.
- إطلاق العنان للغرائز والشهوات، والتحوّل من مركزية العناية بالإنسان وفكره إلى تلبية حاجات لذّته وجسده، بما يؤثر على قضايا أسرية دقيقة مثل: اختيار زوج المستقبل والتعامل معه ليكون بعيداً عن توجيهات الدين

(١) القحطاني، مسفر بن علي. "القيم في مرحلة ما بعد الحداثة: قيم العمل اليابانية أنموذجاً"، الندوة الدولية الرابعة بعنوان: الحداثة والقيم في عالم متغير، أقيمت في مركز الأمير عبد المحسن بن جلوى للبحوث والدراسات الإسلامية بالشراكة مع معهد سيمور المتميز في اليابان، الشارقة، الإمارات، ٣٠/إبريل/٢٠١٢م.

openkan.com

والأخلاق، وملتصقاً بلذة الجسد، ذلك أن داروين أكّد لهم أن الإنسان انحدر من أصل حيواني هو القرد.

- رفض مسمى رجل وامرأة، أو ذكر وأنثى، وعدّ ذلك نوعاً من التعصب اللامحمود، بل الإنسانية هي النوع فقط وأسموه الجندر، وبرأيهم أن ما سبق من مسميات رجل وامرأة تندرج ضمن البنية اللغوية التي وقفت التربية الاجتماعية عائقاً أمام حرية الأفراد في تفسير مرادها؛ إذ لا توجد حقيقة ثابتة أو مسلّمة، فالحقائق يصوغها الإنسان بنفسه ويختار منها ما يناسبه ويتوافق معه وإن كانت في منتهى الانحراف والشذوذ.(١)

- **الصحة النفسية للأسرة:**

ويندرج تحت هذا البند ما يأتي:

- ما سبق ذكره من شذوذ العلاقات خارج إطار الأسرة سواء المثلي أو غير المثلي، ما هو إلا مصادمة حقيقية للفطرة أفقدت العلاقات الأسرية معناها، ولا ينكر تأثير ذلك في الصحة النفسية لأفرادها، وبخاصة إنْ تزامن هذا وأضيفت إليه الخيانات الزوجية والصراع. ولا يتسع المقام لذكر حالات الجرائم الأسرية.

- العنف: استبدلت بأساليب المودة والسكينة العنف والشدة، لما يخبئه كل طرف للآخر، لأن الحياة ما هي إلا معركة، المنتصر فيها هو المسيطر، والذي لا يمتثل إلى الآخر إلا بمقدار ما يحقق له ذاك الامتثال من انتصار جديد؛ فالبقاء للأقوى. وبات العنف ضد الرجل محل حوار وبحث بعد أن كان العنف ضد المرأة هو المحور، فقد وقعت المرأة في شباك ما كانت تطلب دفعه عنها.

---

(١) المرجع السابق.

Openkan.com

ب- البعد الثاني: المرأة:

ويندرج تحت هذا البند ما يأتي:

- الانتقال بوظائف المرأة الفطرية التي يعمر الكون بها وهي الأمومة والزوجية الصالحة إلى مجرد موظفة في مصانع التجار ومروجة للإعلانات التجارية، وإن تسمت بأسماء وهمية مكذوبة في المنصب والمكانة.
- انحدار المعاني النفيسة للمرأة بكل ما تحمله أنوثتها من معان إلى شخصية متشنجة تنظر إلى نفسها بعين الضحية والمظلومة دائماً، ومن ثم، استلاب حقها من الرجل بغض النظر عن الكمّ والكيف.
- التسويغ الداروينـي للتفاوت الطبقـي بيـن النـاس. وحـق الأقـوى فـي السيطرة علـى الأضعـف مـع عـدم الشـفقة علـى الأخيـر حفّـز المـرأة ودفعهـا لاسـتجرار أكبـر قـدر ممكـن مـن المـال بـأي طريقـة كانـت؛ حتـى لا تنـدرج ضمـن الطبقـة المنكوبـة التـي تسـتحق المـوت إن لـم تقـوَ علـى مواجهـة صعـاب الحيـاة وحدهـا، دون أيـة معونـة أو كفالـة مـن أحـد، حتـى وإن كان الثمـن عرضهـا الثميـن الـذي بـات بابـاً مـن أبـواب ارتزاقهـا؛ بخـلاف المثـل العربـي القائـل: تجـوع الحـرة ولا تـأكل بثدييهـا.
- استبدلت بذلك المرأة الحرية الحقيقية التي طالبت بها بما يسميه بعضهم "إحساس الحرية"،[1] والأخير ما هو إلا حالة نفسية كاذبة من الوعود التي أخرجت المرأة من بيتها وأطاحت بمهامها الأسرية.
- الانعتاق في فلسفة ما بعد الحداثة لا تكمن في العدالة الاجتماعية والدخل الاقتصادي، إنما بالقدرة على التعبير عن كامل الرغبات وإن خالفت منظومة المجتمع وقيمه وحاولت الأخيرة قمعها؛ لذا، يرون قمة الانعتاق

(١) رشاد، **ظاهرة العصبوية النسوية**، مرجع سابق، ص٣٠٩-٣١٨.

في تحقيق اللذة. فبات الشذوذ الجنسي[1] بكافة أشكاله أعلى درجات الانعتاق، واستخدمت فيه المرأة لتكون المروج لإعلام السُّحت وتحقيق لذة الانحراف.

- تحول النظام العالمي "الإمبريالي" من القديم، الذي ركز على موازين القوى والرعب بدعم من المنظومة الداروينية إلى منظومته الجديدة استناداً إلى قيم ما بعد الحداثة في اعتبار الإنسان والعالم مادة استعمالية، تحركه الدوافع المادية وأبرزها الاقتصاد والجنس؛ إذ يعد البحث عنهما المرجعية النهائية والوحيدة لوجوده. وعليه، يتم ترشيد العالم لتحويله إلى مصنع وسوق وملهى ليلي وهو ما أسماه المسيري "الاستهلاكية العالمية"، فالعالم بذلك يتحول إلى ساحة كبيرة تحكمها قوانين العرض والطلب. ولتحقيق ذلك، فإن الحل الأمثل -من وجهة نظرهم- هو: استخدام الإغراء والإغواء للشعوب في سبيل التفكيك سواء للقيم أو المرجعيات؛ إذ يستفاد من التفكيك ضرب التماسك لأول مؤسسة اجتماعية وهي الأسرة، فيضمن الانحدار إلى اللاهوية وانتهاء المرجعيات،[2] وعدّ المرأة -سواء وعت ذلك أم لم تعِ- هي المنفذ الأول لسياسات الإغراء والإباحية التي امتلأت بها شاشات السينما والعرض العالمية والإنترنت؛ بالإضافة إلى ثقافة العري والتعري بوصفها أبسط حقوق المرأة، بل وسبيلها للحصول على الجوائز العالمية مثل الأوسكار وغيرها، وهذا ما يفسر عظم الأصوات وعلوها التي التفَّت حول الحركات النسوية "الفيمنزمية" للمطالبة بالمساواة المطلقة، والحقيقة المرادة هي التسوية؛ أي تسوية الإنسان بكل شيء في العالم بما فيها الحيوانات؛ لتكون المادة وحدها دون غيرها، وبذلك تعلن ما بعد الحداثة موت الإنسان بعد أن أعلنت التيارات الفكرية التي سبقتها موت الإله.

---

(١) المسيري، والتريكي، **الحداثة وما بعد الحداثة**، مرجع سابق، ص٩١.

(٢) المرجع السابق، ص١٦٦-١٧٤.

ت- البعد الثالث: الأبناء:

ويندرج تحت هذا البند ما يأتي:

- ضياع الطفولة البريئة بين أزقة الشوارع ووسائل الإعلام بغثها وسمينها؛ لغياب التربية الأسرية الحقيقية.
- التشرد المعنوي والحقيقي للأبناء، بعيداً عن الأب والأم الفعليين.
- إجهاض الأجنة وإزهاق الأرواح البريئة للطفولة قبل قدومها.
- حضور الأمية الدينية والتربوية لدى الآباء؛ مما يعني أن الأسرة لم تعد المصدر الرئيس للتربية والتوجيه واستقاء المعاني الفاضلة، بالإضافة إلى تراجع مراقبة الآباء للأبناء.
- اتساع الفجوة بين الآباء والأبناء في الفكر والممارسة.
- تمرد الأبناء على قيم الأسرة الفاضلة في الإنشاء والضبط والشكل؛ فهي -على حد تعبيرهم- باتت تقليدية وتعيق حركة الحضارة والمدنية.
- توجه الأبناء إلى اللاهوية سواء بمعانيها الشخصية أو الثقافية، مما أحدث الانشقاق الواضح والحقيقي بين ما يدعيه الفكر وما يصدقه السلوك.

٢- سبل المواجهة:

بالإمكان تقديم جملة من المقترحات لمواجهة الآثار السلبية التي أفرزتها التيارات الفكرية بوصفها تحدياً، وإعادة الاعتبار للأسرة في عالم تسارعت فيه المتغيرات وعظمت فيه التحديات، وتتلخص هذه المقترحات بما يأتي:

- سبل المواجهة حلقات متداخلة ومتكاملة، تبدأ بالفرد وتنتهي بالأمة، وبينها مسيرة تضافر لجميع مؤسسات المجتمع وفي مقدمتها التربية. وعليه، لا بدّ من تداعي مؤسسات المجتمع الرسمية والمهنية لإعداد خطط ممنهجة في تشخيص التحديات الموجهة للأسرة وعلاجها.

- سلاح المواجهة الرئيس التربية، ومطلوب منها بناء إنسان قادر على مواجهة التحديات؛ إذ الأخيرة في العصر الحاضر منطلقها "إيديولوجي" يستهدف الفكر في الدرجة الأولى؛ مما يزيد مسؤولية المؤسسات التربوية في تصفية الفكر الوارد وبناء فكر جديد. وعليه، لا بدّ من إبراز جهود مؤسسات التعليم في إعادة النظر في المناهج التعليمية من حيث الأهداف والمحتوى والوسائل.

- المسلم مطالب أمام هذه المذاهب والتيارات الفكرية أن يعي بها أولاً؛ حتى يمد نفسه بطاقة صمود وقدرة على المغالبة والمقاومة، وهذا ترجمة لقانون الفعل في مواجهة التحديات ضمن ثلاث خطوات: الإدراك ثم الانفعال ثم السلوك العملي أو التحرك، وهي على الترتيب إدراك التحدي وفهمه ليتولد عنه انفعال يدفعنا للتحرك الإيجابي والفاعل نحو مواجهته، وبذلك ندرك الحكمة في قوله تعالى: ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٣].

- الانتقال من مرحلة الاكتفاء بالدفاع عن قضايا المرأة والأسرة لحظة الهجوم إلى لحظة المبادأة بتقديم النموذج الإسلامي النظري والعملي للأسرة المنشودة. وعليه، فالمطلوب من جمعيات المرأة وسائر المؤسسات المعنية أن تتداعى لبناء مشاريع ترفع من سوية المرأة، وتؤكد قداسة وظائفها في الأمومة والتربية.

- تفعيل مشاريع التوعية الأسرية، وبخاصة الموجهة للمرأة بالإمكانات المتاحة كافة (مؤتمرات، وندوات، ومواقع إلكترونية، وغيرها)؛ ليتسنى رسم حقيقة الصورة والموقع الفطري للمرأة في الأسرة والمجتمع.

- الانتقال من مرحلة التنظير إلى مرحلة التطبيق بإلزام الشباب الجامعي والمقبلين على الزواج بدورات تثقيفية أسرية تُطرح من منظور إسلامي. وكذا تفعيل التخصصات الجامعية المتعلقة بالأسرة والدراسات الأسرية،

سواء على مستوى جعل مساق الأسرة إحدى المواد الإجبارية في الجامعة أو على مستوى توفير الكفاءات المتخصصة.

- العمل على تحويل الإعلام من وظيفته الترفيهية والتدجينية بما بتوافق مع قيم النظام العالمي الجديد إلى الإعلام الهادف، وتفعيل وثيقة الشرف القانونية بما يتعلق بوسائل الإعلام؛ وذلك بمخاطبة مالكي القنوات وصنّاع القرار فيها لتوظيف سائر وسائل الإعلام وسبل الاتصال على المستوى الداخلي بالتثقيف والتوجيه والتوعية الأسرية، والمستوى الخارجي في تقديم النموذج المطلوب.

خاتمة:

هدفت الدراسة إلى بيان انعكاسات المؤثرات الفكرية في التربية الأسرية واقتراح سبل المواجهة. وفي ضوء ما سبق، تم التوصل إلى عدد من الاستنتاجات، منها: أن التربية الأسرية تعبّر عن جهود مخططة بصورة مقصودة على المستوى الفردي والمؤسسي؛ بهدف تنمية سلوك الفرد وترقيته بما يمكنه من القيام بمسؤولياته وأدواره المنوطة به في أسرته الحالية والمستقبلية، وبما يبوؤه مكانته الفطرية في الأسرة، كما تعد تيارات الداروينية وما بعد الحداثة والحركات النسوية المعاصرة من أبرز المؤثرات الفكرية التي تعيق التربية الأسرية المنشودة، سواء على مستوى العلاقات الأسرية عموماً في البنية والوظائف والمنظومة القيمية والأخلاقية والصحة النفسية، أم على المستوى الخاص الذي يشمل المرأة والأبناء، وقد تم تمرير طروحات التيارات الفكرية و"إيديولوجيتها" بمسميات براقة مثل: تنمية المرأة وتمكينها، وتلك المسميات المذكورة كفيلة لاستجرار المرأة في العالم العربي والإسلامي للانسياق وراءها دون وعي. وما يلفت النظر أن التيارات الفكرية المطروحة قد سبقت دراستها في محتواها السياسي والاستراتيجي والتاريخي من قبل العديد من الباحثين، إلا أنها لم تبحث بالقدر الكافي في التأثير على الأسرة وتسليط الضوء على الأخيرة تحديداً، وهو ما تمت معالجته في الدراسة الحالية.

وتبين أن سبل المواجهة لا تقف عند حد التنظير، بل تتعداها إلى ضرورة تداعي مؤسسات المجتمع بشقيها الرسمية والمدنية -ومنها الإعلام ومؤسسات التعليم وصنّاع القرار- لوضع خطط ممنهجة ومدروسة تتحسس الأخطار وتضع برامج المواجهة، وكذا، ضرورة النظر في إعادة صياغة المناهج التعليمية من حيث الرؤى والأهداف والمحتوى برؤية تتفق مع إعداد جيل يدرك أهمية الأسرة، ويرى ضرورة الحصانة الشرعية لها في الإنشاء والضبط. وعليه، توصي الباحثة بضرورة تناول تيارات نسوية أخرى من تيارات النسوية الحديثة أو المعاصرة غير تيار الجندر النسوي، وتتبُّع أفكارها وآثارها على المرأة والأسرة والطفولة.

obeikan.com